

تقديم

في عام ١٩٧٧ صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى، فكان - آنذاك - أول عمل علمي يدخل إلى بنية القافية، وما أطلق علي حروفها وأنواعها من اصطلاحات، مدخلاً صوتياً. كانت دراسات أخرى قد سبقت الدراسة التي بين أيدينا، كما زامنتها دراسات أخرى. ولكن تلك الدراسة التي قام عليها أستاذنا الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف قد انفردت بتجاوز الرصد والوصف إلى المقارنة والتحليل. وكانت دراسات سابقة مثل: "قضية الشعر الجديد" للدكتور محمد النويهي و"موسيقى الشعر العربي" للدكتور شكري عياد و"قضايا الشعر المعاصر" للدكتورة نازك الملائكة قد درست التطورات الجديدة التي صاحبت بنية القافية المتغيرة فيما اصطلح على تسميته تاريخياً بالشعر العربي المعاصر أو شعر التفعيلة، ولكن ساحة المقارنة بين القافية في الشعر العربي والقافية في اللغات السامية كانت خالية حتى جال فيها ذلك الكتاب.

من أهم ثمار تلك المقارنات الوقوف على وجوه الشبه أو الاختلافات بين الشعر العربي والشعر السامي وزناً وقافية. خذ مثلاً على ذلك القافية في الشعر الأكادي الذي عرفت فيه القافية ما أطلق عليه أستاذنا، تجاوزاً، قافية المطالع وهي مماثلة بين أوائل الأسطر، في الوقت الذي لم تطلق فيه القافية في الشعر العربي إلا على ما كان من مماثلات في أواخر الأبيات.

ولعل من وجوه الشبه هنا ما عرفه الشعر الأكادي من قافية داخلية يمكن أن نجعل لها نظيراً ما أطلق عليه في الشعر العربي اسم "الترصيع"، وهو أن يكون البيت مسجوعاً.

لقد أتيح لأستاذنا الدكتور عوني عبد الرؤوف دراسة بنية القافية وتطورها وعلاقتها بالأصوات اللغوية على نحو لم يتح لغيره من الباحثين. ولعل من الأدلة على ذلك عنايته بتأمل العلاقة بين ضرائر القافية والأصوات اللغوية،

أو مقارناته نظام القافية في العربية بأنظمة القافية في اللغات السامية المختلفة. وقد زودته معرفته الواسعة بما كتبه المستشرقون الألمان عن الأوزان والقوافي في الشعر السامي - خاصة - بمعلومات أضافت إلى ذلك الكتاب قيمة وتميزًا. إن من الأعمال ما تنقص قيمته بالتقادم، ومنها ما تزيد. وهذا الكتاب الذي بين أيدينا - لصلابة منهجه وارتباطه بأسرار الصنعة الشعرية ذاتها - سوف تظل الحاجة إليه متجددة وملحة.

أ. د. محمد العبد

أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية
كلية الألسن - جامعة عين شمس
القاهرة ٢٠٠٤م